بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ أحمد الصبح

الفرح بالعيد

الحمد لله، الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله، صفيه وخليله، خير الخلق والبشر، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وأحثكم وإياي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

يقول الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 185].

أيها الأحبة: نحن في أيام عيد، عيد الفطر المبارك، والعيد عند المسلمين مظهر من مظاهر الدين، أعيادنا في الإسلام دينية، أعيادنا إسلامية، وشعيرة من شعائر هذا الدين، يَنطوي العِيد في الإسلام على حِكَمٍ عظيمة، ومَعان جليلة، وأسرارٍ بديعة، نَتميز بها على بقية الأمم في شتى أعيادها.

العيد في معناه الديني شكر لله تعالى على تمام العبادة وتمام الهدى، ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

العيد تجديدٌ للرابطة الاجتماعية على أقوى ما تكون من الحبِّ والوفاء والإخاء، فيه أروع ما يضفي على النفوس من الأُنس والبهجة، وعلى الأجسام من الراحة، ومن المغزى الاجتماعي أنه تذكير لأبناء المجتمع بحق الضعاف والعاجزين، حتى تَشمل الفرحة بالعيد كل بيت، وتعمّ كل أسرة، إلى هذا المعنى الاجتماعي يَرمز تشريع

صدقة الفطر، فإن مِن تقديم ذلك قبل العيد للأيدي الخيرة في مجال الخير إطلاقاً لها وتوسيعاً على الناس، فلا تشرق شمس العيد إلا والبسمة تعلو كل الشفاه، والبهجة تغمر كل قلب.

أيها الأحبة: مما يدل على عظم شأن العيد أن الإسلام قرن العيدين بشعيرتين من شعائره، التي لها أثرها الكبير في الروحانيات، ولها أثرها العميق في التربية الفردية والجماعية هاتان العبادتان هما: عبادة الصوم وعبادة الحج، العيدان الكبيران في الإسلام، عيد الفطر وعيد الأضحى، يأتيان عقب عبادتين كبيرتين، ومعنى العيد أنك تفرح برضوان الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ [يونس: 85].

تكلمت بالأمس عن الفرح بطاعة الله، وها أنا أُعيد التأكيد على الفرح، لأن بعض أهلنا وأحبابنا قد أَعلنوا الحِداد ونَبذ الفرح، واعتذروا بما يُصيب البلاد من هم وغم وابتلاء وغلاء. ونحن نقول لهؤلاء ونقول لأنفسنا كلنا مصاب، لا يوجد أحد من أهل الشام الآن إلا وهو مصاب في أهل أو مال أو مسكن، نقول: يَجب أن تفرحوا في العيد، يجب، مَهما ألمت بالأمة المآسي والأحزان، الفرح في العيد فَرض، ويجب أن تُلقوا الفرح في قلوب من حولكم، من أولاد صغار، مِن أمهات وإخوة وأخوات، من زوجات وَفِيَّات، هذا الذي يفتعل مشكلة في العيد بعيد عن منهج الإسلام، هذه أيام فرح، هذه أيام أكل وشرب وطاعة لله تبارك وتعالى، هَذه أيام لقاء أُسري، لقاء بين الأقارب، هذه أيام صلة الأرحام، هذه أيام الاقتراب من الواحد الديان.

هذا يوم تعم فيه المسرات، تُلبى فيه الحاجات، يُرأب الصدع بين الأسر، تَكون العلاقة بينك وبين مَن حولك علاقة حسنة، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُم﴾ [الأنفال: ١] اتقوا: أمر، وأصلحوا: فعل أمر، يعني ذلك الوجوب.

أيها الأحبة: بَعض المسلمين كما أنهم جَرَّدُوا دِينهم مِن مَضامينه، وأصبح دِينهم تسمية بغير مسمى، في الأعياد بعض الناس يَجعلون أيامه ولياليه معاصي وآثاماً،

أيام اختلاط فواحش، تهجر فيه الطاعات، وتُفعل فيه المعاصي، يَنسون ما كان بينهم وبين الله في رمضان ولياليه.

ما قولكم -أيها الأحبة- في امرأة قَضت أوقاتًا طويلة تغزل في ثوب، سهرت عليه ليالي طوالاً تهيئه وتحسنه وتجمِّله، ثم إذا ما أوشك الثوب على التمام وأصبح جاهزًا للاستعمال إذا بها تنقض خيوطه خيطًا خيطًا، ماذا تقولون عن هذه المرأة؟ ألا تقولون إنها مجنونة فاقدة للوعي والتدبير؟ ربنا جل وعلا يضرب مثلاً في القرآن الكريم عن هذه المرأة، ينطبق على من يبذل وقته في الطاعة والعبادة في شهر رمضان، ويَجتهد في القرب من الله عز وجل حتى يَصل إلى مصاف الملائكة، ويتلبس بحُلة الإيمان، ثم إذا انقضى شهر رمضان ضَيَّعَ كل ذلك، وخلع هذه الحلة واستبدل بها حُلة المعصية ورداء الفسوق، اسمعوا إلى هذا المثل في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢].

أبعد طول الود نقترف الجفا *** أبعد صافي الحب نعتزل الوفا

اترك أبواب الله مفتحة، لا تُغلق أبواب الوصل مع الله، لا تغلق باب الطاعة والتوبة والإنابة، فإنك لا تدري متى لقاء الله، عِش على حالة تُحب أن تلقى الله عليها، فإن الأجل لا يُؤخر، ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: 32] عندها يكون الطريق اتجاهًا واحدًا -ذهاب فقط أيها الأحبة- حياتك اليوم اتجاهان: ذهاب وعودة، معصية وتوبة، فتور وطاعة، منشط ومكره، أما غدًا عندما تُسحب الروح، عندما ينادي المنادي من مكان قريب، ليس لديك أي خيار، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فيقال له: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] اعمل لتلك الساعة، فاليوم تستطيع أن تغير، أما غدًا فلا، اترك الأبواب مفتوحة مع الله.

من أجمل القصص التي قرأتها أن سهيل بن عمرو كان على سفر هو وزوجته، وفي أثناء الطريق اعترضهم قطاع الطرق، وأخذوا كل ما معهم من مال وطعام وأثاث، وجلس اللصوص يأكلون ما حصلوا عليه من طعام وزاد، فانتبه سهيل بن عمرو أن قائد اللصوص لا يأكل، اللصوص يأكلون والقائد جالس لا يأكل معهم، فسأله: لماذا لا تأكل معهم؟ فرد عليه: إني صائم، شيء مُضحك! قاطع طريق وصائم! ما هذه المفارقة؟ فدهش سهيل فقال له: تسرق وتصوم؟! قال له: إني أترك بابًا بيني وبين الله، لعلي أن أدخل منه يوماً ما، وبعدها بعام أو عامين، رآه سهيل في الحج وقد تعلق بأستار الكعبة، وقد أصبح زاهدًا عابدًا، فنظر إليه وعرفه، فقال له: أو علمت، مَن ترك بينه وبين الله بابًا دخل منه يوماً ما، سبحان الله العظيم، إياك أن تغلق الأبواب بينك وبين الله عز وجل، حتى ولو كنت عاصياً، وتقترف معاصيَ كثيرة، فعسى باب واحد أن يَفتح لك أبوابًا.

ملخص خطبتنا لهذا اليوم:

1-العيد في معناه شكر لله تعالى على تمام العبادة وتمام الهدى.

2-العيد تجديد للرابطة الاجتماعية على أقوى ما تكون من الحب والود.

3-الإسلام قرن الأعياد بشعائر من شعائره العظيمة -الصوم والحج- تعظيمًا لشأنه ورفعة له.

4-الفرح في العيد فرض، ويجب أن تلقوا الفرح في قلوب من حولكم.

5-إياكم أن تنقضوا عبادة رمضان بتقصير ومعصية بعده.

6-اتركوا أبواب الله مفتحة في وجوهكم، فإنكم لا تدرون أيها يُدخلكم إلى رحمته وجنته.

لا تنسوا في العيد أسر الشهداء الأبرار ، برّهم ومواساتهم والإحسان إليهم ، فقد قدموا أغلى ما يملكون لحماية سورية الحبيبة.

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك، أقول قولي هذا وأستغفر الله.

مديرية أوقاف دمشق